فذكر ضعف التأليف لا يكون مغنيا عن ذكر التعقيد اللفظي كما توهم بعضهم كقول الفرزدق في
في مدح خال هشام بن عبد الملك وهو ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومي وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه
حي ابوه يقاربه اي ليس مثله في الناس حي يقاربه اي احد يشبهه في الفضائل الا مملكا اعطي المال والملك
يعني هشاما ابو امه اي ام ذلك المملك ابوه اي ابو ابراهيم الممدوح والجملة صفة مملكا اي لا يماثله احد الا ابن
اخته الذي هو هشام ففيه فصل بين المبتدا والخبر اعني ابو امه ابوه بالاجنبي الذي هو حي وبين الموصوف
والصفة اعني حي يقاربه بالاجنبي الذي هو ابوه وتقديم المستثنى اعني مملكا على المستثنى منه اعني حي
ولهذا التعقيد والا فلم يكن البدل فهذا التقديم شائع في الاستعمال لكنه اوجب زيادة في التعقيد وقيل مثله
مبتدا وحي خبره وما غير عامل على اللغة التميمية وقيل بالعكس فبطلان العمل لتقديم الخبر وكلا الوجهين تعسف
فلفظ في المعنى يظهر بالتامل في قولنا ليس مماثله في الناس حي يقاربه او ليس حي يقاربه مماثلا له في الناس
فالصحيح ان مثله اسم ما وفي الناس خبره وحي يقاربه بدل من مثله ففيه فصل بين البدل والمبدل منه واما في
الاستعمال اي لا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الاول المفهوم بحسب اللغة الى المعنى
الثاني المقصود وذلك الخلل يكون لايراد اللوازم البعيدة المفتقرة الى الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن
الدالة على المقصود كقول الاخر وهو عباس بن الاحنف سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب
اي تصب وهو الرواية الصحيحة المبني عليها كلام الشيخ في دلائل الاعجاز والنصب توهم عيناي الدموع
لتجمدا جعل سكب الدموع وهو البكاء كناية عما يلزم فراق الاحبة من الكآبة والحزن واصاب لانه كثيرا ما يجعل
دلالة عليه يقال ابكاني الدهر واضحكني اي ساءني وسرني ٥ ابكاني الدهر ويا ربما اضحكني الدهر بما يرضي ٥ ولكنه
اخطأ في الكناية عما يوجبه دوام التلاقي والوصال من الفرح والسرور بجمود العين فان الانتقال من جمود
العين الى بخلها بالدموع حال ارادة البكاء وهي حالة الحزن على مفارقة الاحبة لا الى ما قصده الشاعر
من السرور الحاصل بملاقاة الاصدقاء ومواصلة الاحباب ولهذا لا يصح ان يقال في الدعاء لا زالت
عينك جامدة كما يقال لا ابكى الله عينك ويقال سنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها كانهما تبخلان بالمطر
واللبن قال الحماسي ٥ ألا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود ٥ فان قيل استعمال الجمود
في مطلق خلو العين من الدمع مجاز من باب استعمال المقيد في المطلق ثم كنى به عن المسرة لكونه لازما لها عادة
قلنا هذا انما يكفي لصحة الكلام واستقامته ولا يخرجه عن التعقيد المعنوي لظهور ان الذهن لا ينتقل الى هذا
بسهولة والكلام الخالي عن التعقيد المعنوي ما يكون الانتقال فيه من معناه الاول الى الثاني ظاهرا حتى يخيل
الى السامع انه فهمه من حاق اللفظ واما الكلام الذي له معنى ثان فهو بمنزلة الساقط عن درجة الاعتبار
عند البلغاء كما ستعرفه في بحث بلاغة الكلام ومعنى البيت ان عادة الزمان والاخوان الاتيان بنقيض
المطلوب والجريان على عكس المقصود وانا الى الآن كنت اطلب القرب والسرور فلم يحصل لي الا الحزن والفراق
فبعد هذا اطلب البعد والفراق ليحصل القرب والوصال واطلب الحزن والكآبة ليحصل الفرح والسرور
وهذا ان نصبت تسكب عطفا على بعد الدار وان رفعته كما هو الصواب فالمعنى ابكي واتحزن الآن

لعنى

ليحصل في المستقبل السرور والفرح بالقرب والوصال وح لا يدخل سكب الدموع في الطلب لكنه اكتفى عليه
ولازمه مطارد الامر المطلوب ليبطل الدهر انه مطلوب فيأتي بضده هذا هو المعنى المشهور فيما بين القوم
ولا يخفى ما فيه من التكلف والتعسف ومنشأه عدم التعمق في المعاني وقلة التصفح لكلام المهرة من السلف
والصحيح انه اراد بطلب الفراق طيب النفس به وتوطينها عليه حتى كأنه امر مطلوب والمعنى اني اليوم اطيب
نفسا بالبعد والفراق واوطنها على مقاساة الاحزان والاشواق واتجرع غصصها واتحمل لاجلها حزنا
يفيض الدموع من عيني لأتسبب بذلك الى وصل يدوم ومسرة لا تزول فان الصبر مفتاح الفرج ومع
كل عسر يسرا ولكل بداية نهاية هذا هو المفهوم من دلائل الاعجاز وعلى هذا الشيء في شأن لحن التأكيد
على ما ذكره صاحب الكشاف في قوله تعالى ستكتب ما قالوا وغير ذلك فقيل فصاحة الكلام خلوصه مما ذكر
ومن كثرة التكرار وهو ذكر الشيء مرة بعد اخرى وكثرته ان يكون ذلك فوق الواحد وتتابع الاضافات
فكثرة التكرار كقوله اي قول ابي الطيب ٥ وتسعدني في غمرة بعد غمرة ٥ الغمرة ما يغمرك من الماء والمراد الشدة
سبوح فعول بمعنى فاعل من السبح وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث واراد بها فرسا
حسنة الجري لا تتعب راكبها كأنها تجري في الماء لها هيئة سبوح منها حال من شواهد عليها متعلق بها
وشواهد فاعل الظرف اعني لها لاعتماده على الموصوف والضمائر كلها للسبوح يعني ان لها من نفسها علامات
شاهدة على نجابتها وتتابع الاضافات مثل قوله اي قول ابن بابك حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي
ففيه اضافة حمامة الى جرعى وهي ارض ذات رمل مستوية لا تنبت شيئا جرعا مثل الاجرع قصرها للوزن
واضافة جرعى الى حومة وهي معظم الشيء واضافة الحومة الى الجندل وهي ارض ذات حجارة والسجع هدير
الحمام ونحوه وتمامه فانت بمرأى من سعاد ومسمع اي بحيث تراك سعاد وتسمع قولك كذا في الصحاح وفيه نظر
لان كلا من كثرة التكرار وتتابع الاضافات ان ثقل اللفظ بسببه على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه
بالتنافر والا فلا يخل بالفصاحة كيف وقد قال النبي صلعم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم قال الشيخ عبد القاهر لا تحسبن الاضافات المتداخلة فانها لا تحسن
وذكر انها تستعمل في الهجو كقوله ٥ يا علي بن حمزة بن عمارة انت والله ثلجة في خيار ٥ ثم قال لا شك في ثقل
ذلك في الاكثر لكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ومنه الاطراد المذكور في علم البديع كقوله
بعتيبة بن الحارث بن شهاب ٥ وما اورده المصنف في الايضاح من كلام الشيخ مشعر بانه حمل تتابع
الاضافات اعم من ان يكون مترتبة لا يقع بين المضافين شيء غير مضاف كما في البيت او غير مترتبة
كما في الحديث فانه اورد الحديث مثالا لكثرة التكرار وتتابع الاضافات جميعا وانه اراد بتتابع الاضافات
ما فوق الواحد لانه اذا لم يشترط ذلك اراد بتتابع الاضافات المترتبة وكثرة التكرار
بالنسبة الى امر واحد كما في البيتين والحديث سالم من هذا الا ان نقول هما ايضا ان اوجبا
ثقلا وبشاعة فذاك والا فلا جهة لاخلالهما بالفصاحة كيف وقد وقعا في التنزيل كقوله تعالى مثل دأب
قوم نوح وقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها والعجب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)